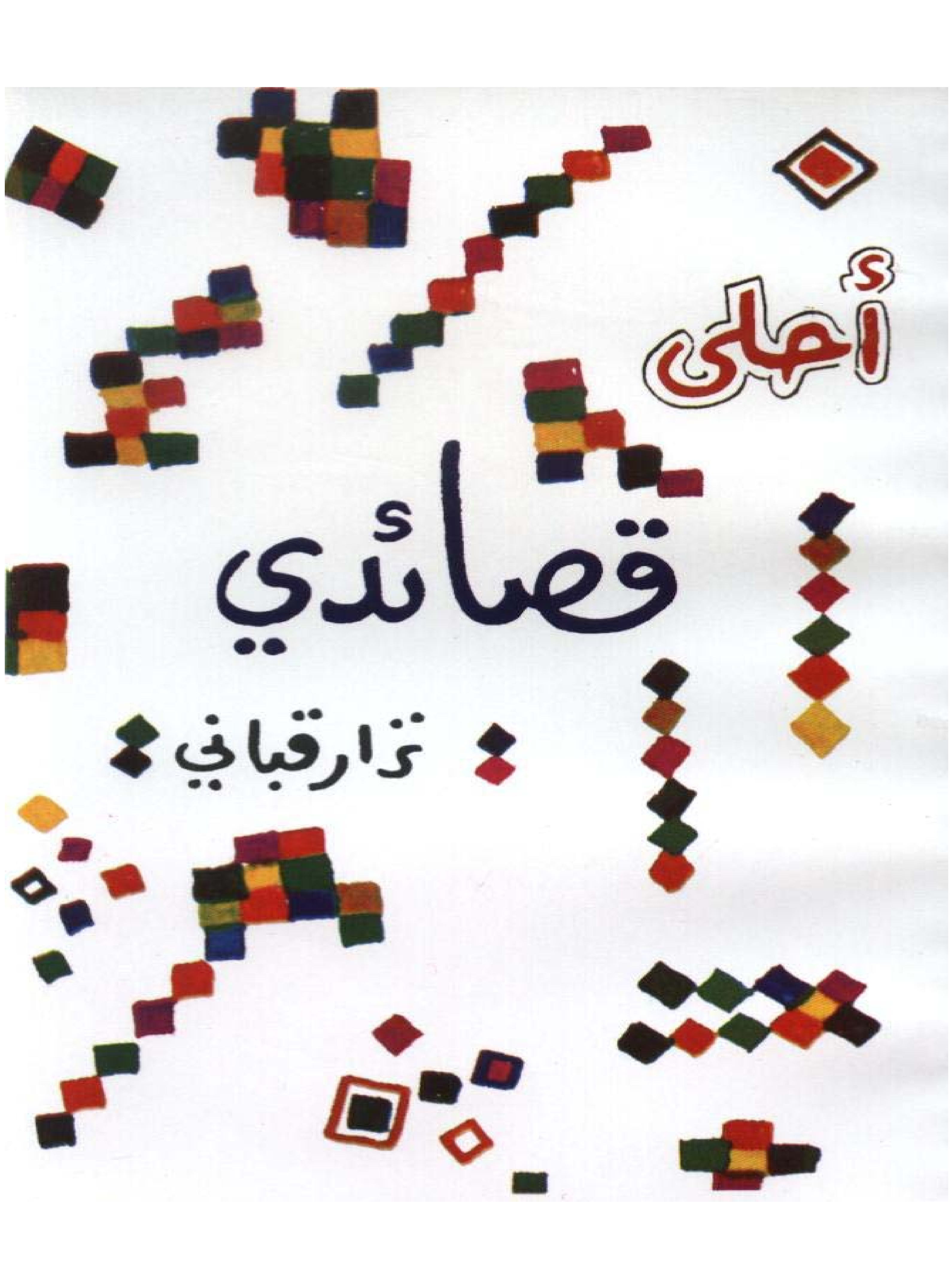

أحلى
قصائدي
نزار قباني

قراءة ممتعة

مع تحيات يحيى الصوفي

مؤسس ورئيس تحرير موقع

القصة السورية

Syrian Story

الطبعة السادسة عشر

١٩٩٢ م

هذه المختارات

أحلى قصائدي !
هل هذا ممكن ؟ وهل يستطيع شاعر على وجه الأرض أن يقرر بمثل هذه السهولة والرعونة ، ما هي أحلى قصائده .
وإذا كانت القصائد التي اخترتها هي أحلى القصائد من وجهة نظري ، فهل هي كذلك بالنسبة للآخرين ؟
إن ذوق الشاعر ، على أهميته ، يبقى ذوقه الخاص ، وارتباطه الشخصي ببعض قصائده ، والظروف التاريخية والنفسية والإنسانية التي كتب تحت تأثيرها هذه القصائد ، تلعب دوراً رئيسياً في لعبة الاختيار .
إن ورائي ثلاثين عاماً من التجارب الشعرية ، وأمامي عشرون كتاباً هي تذكرة ميلادي ، وجواز سفري ، وعمري كله .
فكيف أستطيع أن ألتقط من هذا البحر ، ثلاثين صدفة أقول عنها إنها البحر ..
وكيف أسمح لنفسي أن ألتقط من الشمس ثلاثين شعاعاً وأدعي أنني سرقت النار ؟..
إن كل عملية اختيار بحد ذاتها مرعبة . وعملية اختيار الشعر ممن كتبه هي ذروة الرعب ..
وإذا كان لا يستحيل على الإنسان أن يختار أثوابه ، وعطوره وأثاث بيته ، ولون ستائره ، فمن المستحيل عليه أن يختار انفعالاته ..
الشعر هو أرض الانفعال .
هو وطن الأشياء المنقلبة دائماً على نفسها ، والأشكال الهاربة من شكلها .
وعلى هذه الأرض الحبلى بالدهشة والمفاجآت ، لا ثبات لشيء ، ولا يقين لشيء ..
فكيف يختار الشاعر حصانه بين ألوف المتسابقة على حدقتي عينيه ؟.
الاختيار كان دائماً يعذبني . والتمييز بين هذه القصيدة وتلك ، كان دائماً وجعي الأكبر .
وبالرغم من طول صحبتي للشعر ، وسكناي معه وفيه ، فإنني كلما دعيت إلى أمسية شعرية ، أقف أمام أوراقي خائفاً ومتردداً كالطفل عشية الامتحان .
إن فكرة إصدار مختارات شعرية لي فكرة قديمة . ولكنني كنت دائماً أؤجلها وأخشاها ، كما يخشى المتهم قرار المحكمة .

إلا أن مواجهتي اليومية للجمهور . ووقوفي أمامه فاعلاً ومنفعلاً وردود الفعل المختلفة التي كانت تواجه بها قصائدي . أكسبتني بعض الخبرة في معرفة القصائد – المفاتيح في شعري . وأعني بالقصائد – المفاتيح . تلك القصائد التي تركت ورائها أسئلة .. وحرائق .. وناراً .. ودخاناً .

واليوم . وقد قررت أن أدخل قاعة المحاكمة . أود أن أهمس في آذان المحلفين . إن اختيار بضعة أشجار من غابة . لا يمثل حقيقة الغابة . وأن قطف ثلاثين زهرة . ووضعها في آنية .. فيه ظلم كبير للبستان ..

نزار قباني

نيسان ١٩٧١

إختاري

إني خيَّرتُكِ .. فاختاري
ما بينَ الموتِ على صدري ..
أو فوقَ دفاترِ أشعاري ..
إختاري الحبَّ .. أو اللاحبَّ
فجُبنٌ ألا تختاري ..
لا توجدُ منطقةٌ وسطى
ما بينَ الجنّةِ والنارِ ..

*

إرمي أوراقكِ كاملةً ..
وسأرضى عن أيِّ قرارِ ..
قولي . إنفعلي . إنفجري
لا تقفي مثلَ المسمارِ ..
لا يمكنُ أن أبقى أبداً
كالقشّةِ تحتَ الأمطارِ
إختاري قدراً بين اثنين
وما أعنفَها أقداري ..

*

مُرهقةٌ أنتِ .. وخائفةٌ
وطويلٌ جداً .. مشواري
غوصي في البحرِ .. أو ابتعدي
لا بحرٌ من غيرِ دوارِ ..
الحبُّ .. مواجهةٌ كبرى
إبحارٌ ضدَّ التيارِ
صَلبٌ .. وعذابٌ .. ودموعٌ
ورحيلٌ بينَ الأقمارِ ..
يقتُلني جبنُكِ .. يا امرأةً
تتسلى من خلفِ ستارِ ..
إني لا أؤمنُ في حبٍّ
لا يحملُ نزقَ الثوارِ ..
لا يكسرُ كلَّ الأسوارِ
لا يضربُ مثلَ الإعصارِ ..

آهٍ .. لو حبُّكِ يبلعُني
يقلعُني .. مثلَ الإعصار ..

*

إنّي خيرتك .. فاختاري
ما بينَ الموتِ على صدري
أو فوقَ دفاترِ أشعاري
لا توجدُ منطقةٌ وسطى
ما بينَ الجنّةِ والنّار ..

رسالة من تحت الماء

إن كنتَ صديقي .. ساعِدني
كَي أرحَلَ عَنك ..
أو كُنتَ حبيبي .. ساعِدني
كَي أُشفى منك
لو أنّي أعرِفُ أنَّ الحُبَّ خطيرٌ جِدَّاً ..
ما أحببت
لو أنّي أعرفُ أنَّ البَحرَ عميقٌ جِداً
ما أبحرت ..
لو أنّي أعرفُ خاتمتي
ما كنتُ بَدأت ...

إشتقتُ إليكَ .. فعلّمني
أن لا أشتاق
علّمني ..
كيفَ أقُصُّ جذورَ هواكَ من الأعماق
علّمني ..
كيف تموتُ الدمعةُ في الأحداق
علّمني ..
كيفَ يموتُ القلبُ وتنتحرُ الأشواق

*

إن كنت نبياً .. خلصني
من هذا السحر ..
من هذا الكفر

حبك كالكفر .. فطهرني
من هذا الكفر ..
إن كنتَ قويَّاً .. أخرجني
من هذا اليَمّ ..
فأنا لا أعرفُ فنَّ العوم
الموجُ الأزرقُ في عينيك .. يُجرجِرُني نحوَ الأعمق
وأنا ما عندي تجربةٌ
في الحُبِّ .. ولا عندي زَورَق ..
إن كُنتُ أعزُّ عليكَ .. فَخُذ بيديّ
فأنا عاشِقَةٌ من رأسي .. حتَّى قَدَمَيّ
إني أتنفَّسُ تحتَ الماء ..
إنّي أغرق ..
أغرق ..
أغرق ..

نهر الأحزان

عينــــاكِ .. كنهـــري أحــــزان
نهـــري موســـيقى حملانـــي
لـــــوراءِ .. وراءِ الأزمــــان
نهـــرَي موســـيقى قـــد ضـــاعا
ســـيّدتي ، ثـــمَّ أضاعـــاني
الـــدمعُ الأســـودُ .. فوقهمـــا
يتســـــاقطُ أنغـــامَ بيـــان
عينـــاكِ .. وتبغـــي .. وكحـــولي ..
والقـــدحُ العاشـــرُ أعمـــاني
وأنـــا فـــي المقعـــدِ .. محتـــرقٌ
نيرانـــي تأكـــلُ نيـــراني
أأقـــول أحبّـــكِ .. يـــا قمـــري؟
آهٍ لـــــو كـــانَ بإمكـــاني
فأنـــا لا أملـــكُ فـــي الدنيـــا
إلا عينيـــــكِ .. وأحـــــزاني
* * *
ســـفني فـــي المرفـــأ باكيـــةٌ

تتمـزّقُ فـوقَ الخلجـانِ
ومصـيري الأصـفرُ حطّمنـي
حطّـمَ فـي صـدري إيمـاني
أأسـافرُ دونـكِ ليلكـتي
يـا ظـلَّ الله بأجفـاني
يـا صـيفي الأخضـرَ .. ياشمسـي
يـا أجمـلَ .. أجمـلَ ألـواني
هـل أرحـلُ عنـكِ ؟. وقصّـتنا
أحلـى مـن عـودةِ نيسـانِ
أحلـى مـن زهـرةِ غاردينيـا
فـي عُتمـةِ شعـرٍ إسبـاني
يـا حبّـي الأوحـد .. لا تبكـي
فـدموعُكِ تحفـرُ وجـداني
إنـي لا أملـكُ فـي الدنيـا
إلا عينيـكِ .. وأحزانـي

* * *

أأقول أحبـك .. يـا قمـري
آه لـو كـان بإمكـاني
فأنـا إنسـانٌ مفقـودٌ
لا أعـرفُ فـي الأرضِ مكـاني
ضيّعـني دربـي .. ضيعَـني
إسـمي .. ضيَعَـني عنـواني
تاريخـي ؟ مـا لي تاريـخ
إنـي نسـيان النسـيان
إنـي مرسـاة لا ترسـو
جـرحٌ بملامـحِ إنسـانِ
مـاذا أعطيـكِ ؟ أجيبيـني
قلقـي ؟ إلحـادي ؟ غثيـاني ؟
مـاذا أعطيـكِ سـوى قـدرٍ
يرقـصُ فـي كـفِّ الشـيطانِ
أنـا ألـفُ أحبّـكِ .. فابتعـدي
عنّـي .. عـن نـاري ودُخـاني

فأنـــــا لا أمـــــلكُ فـــــي الدنيـــــا
إلا عينيـــــكِ .. وأحـــــــــــــزاني

شؤون صغيرة

- ١ -

شؤون صغيره
تمر بها أنت .. دون التفات
تساوي لدي حياتي
جميع حياتي..
حوادث .. قد لا تثير اهتمامك
أعمر منها قصور
وأحيا عليها شهور
وأغزل منها حكايا كثيرة
وألف سماء .. وألف جزيره
شؤون .. شؤونك تلك الصغيره ...
* * *

- ٢ -

فحين تدخن أجثو أمامك
كقطتك الطيبه ..
وكلي أمان
ألاحق مزهوة معجبه
خيوط الدخان
توزعها في زوايا المكان
دوائر.. دوائر
وترحل في آخر الليل عني
كنجم، كطيب مهاجر
وتتركني يا صديق حياتي
لرائحة التبغ .. والذكريات
وأبقى أنا .. في صقيع انفرادي ..
وزادي أنا .. كل زادي
حطام السجائر ..
وصحن .. يضم رماداً ..

يضم رمادي...
* * *
- ٣ -
وحين أكون مريضه ..
وتحمل أزهارك الغاليه
صديقي ، إلي
وتجعل بين يديك يدي
يعود لي اللون والعافيه
وتلتصق الشمس في وجنتي
وأبكي .. وأبكي .. بغير إراده
وأنت ترد غطائي علي
وتجعل رأسي فوق الوساده
تمنيت كل التمني .. صديقي .. لو أني ..
أظل .. أظل عليله ..
لتسأل عني ..
لتحمل لي كل يوم ورودا ً جميله .
* * *
- ٤ -
وإن رن في بيتنا الهاتف
إليه أطير ..
أنا .. يا صديقي الأثير
بفرحة طفل صغير
بشوق سنونوةٍ شارده
وأحتضن الآلة الجامده
وأعصر أسلاكها البارده
وأنتظر الصوت .. صوتك يهمي عليّ
دفيئا ً.. مليئا ً.. قويّ ..
كصوت نبيّ ..
كصوت ارتطام النجوم ، كصوت سقوط الحلي
وأبكي .. وأبكي .. لأنك فكرت فيّ ..
لأنك من شرفات الغيوب .. هتفت إليّ ..
* * *
- ٥ -

ويوم أجيء إليك لكي أستعير كتاب ..
لأزعم أني أتيت لكي أستعير كتاب ..
تمدّ أصابعك المتعبه
إلى المكتبه ..
وأبقى أنا في ضباب الضباب
كأني سؤال بغير جواب
أحدق فيك .. وفي المكتبه ..
كما تفعل القطة الطيبه ..
تراك اكتشفت ؟
تراك عرفت ؟
بأني جئت لغير الكتاب
وأني لست سوى كاذبه !!.
* * *

- ٦ -

.. وأمضي سريعاً إلى مخدعي
أضم الكتاب إلى أضلعي
كأني حملت الوجود معي ..
وأشعل ضوئي .. وأسدل حولي الستور
وأنبش بين السطور ، وخلف السطور
وأعدو وراء الفواصل .. أعدو وراء نقاط تدور
.. ورأسي يدور ..
كأني عصفورة جائعه
تفتش عن فضلات البذور
لعلك يا .. يا صديقي الأثير
تركتَ بإحدى الزوايا .. عبارة حب قصيره ..
جنينة شوقٍ صغيره ..
لعلك بين الصحائف خبأت شيَّا
سلاماً صغيراً .. يعيد السلام إليا ..

- ٧ -

.. وحين نكون معاً في الطريق
وتأخذ – من غير قصد – ذراعي
أحسُّ أنا يا صديق
بشيٍّ عميق

بشيٍّ يشابه طعم الحريق
على مرفقي ..
وأرفع كفيَّ نحو السماء
لتجعل دربي بغير انتهاء ..
وأبكي .. وأبكي .. بغير انقطاع ..
لكي يستمر ضياعي ..

- ٨ -

وحين أعود مساءً إلى عرفتي ..
وأنزع عن كتفيَّ الرداء ..
أحس – وما أنت في غرفتي –
بأن يديك ..
تلفان في رحمة مرفقي ..
وأبقى لأعبد يا مرهقي
مكان أصابعك الدافئات
على كم فستاني الأزرق ..
وأبكي .. وأبكي .. بغير انقطاع
كأن ذراعي ليست ذراعي ..

طوق الياسمين

شكراً..
لطوقِ الياسَمينْ
وضحكتِ لي ..
وظننتُ أنّكِ تعرفينْ
معنى سوارِ الياسمينْ
يأتي بهِ رجلٌ إليكِ ..
ظننتُ أنّك تُدركينْ ..
.. وجلستِ في ركنٍ ركينْ
تتمشين
وتُنقّطين العطرَ من قارورةٍ
وتدمدمينْ
لحناً فرنسيَّ الرنينْ
لحناً كأيّامي حزينْ
قدماكِ في الخُفِّ المُقَصَّبِ ..

جَدولانِ منَ الحنينْ
وقصدتِ دولابَ الملابسِ ..
تَقلعينَ .. وترتدينْ
وطلبتِ أن أختارَ ماذا تلبسينْ
أفَلي إذنْ ؟
أفَلي إذنْ تتجمَّلينْ ؟
ووقفتُ .. في دوّامةِ الألوانِ ملتهبَ الجبينْ
الأسودُ المكشوفُ من كتفيهِ .. هل تتردّدينْ ؟
لكنّهُ لونٌ حزينْ !
لونٌ كأيّامي حزينْ
ولبستِهِ .. وربطتِ طوقَ الياسمينْ
وظننتُ أنّكِ تَعرفينْ ..
معنى سوارَ الياسمينْ
يأتي بهِ رجلٌ إليكِ ..
ظننتُ أنّكِ تُدركينْ ..

*

هذا المساءْ ..
بحانةٍ صُغرى رأيتُكِ ترقصينْ
تتكسَّرينَ على زنودِ المُعجَبينْ
تتكسَّرينْ ..
وتُدَمدمينْ ..
في أُذنِ فارسِكِ الأمينْ
لحناً فرنسيَّ الرنينْ ..
لحناً كأيّامي حزينْ ..
وبدأتُ أكتشفُ اليقينْ
وعرفتُ أنّكِ للسّوى تتجمَّلينْ
ولهُ ترُشّينَ العطورَ ..
وتقلعينَ .. وترتدينْ ..
ولمحتُ طوقَ الياسمينْ ..
في الأرضِ مكتومَ الأنينْ
كالجُثَّةِ البيضاءَ .. تدفعُهُ جموعُ الراقصينْ
ويهمُّ فارسُكِ الجميلُ بأخذِهِ ..
فتُمانعينْ ..

وتُقَهقِهينْ ..
" لا شيءَ يستدعي انحناءَكَ ..
ذاكَ طوقُ الياسمينْ .. "

قصيدة الحزن

علَّمَني حُبُّكِ أن أحزن
وأنا مُحتَاجٌ منذُ عصور
لامرأةٍ تَجعَلّني أحزن
لامرأةٍ أبكي بينَ ذراعيها
مثلَ العُصفُور..
لامرأةٍ تَجمعُ أجزائي
كشظايا البللورِ المكسور
علّمني حُبّكِ .. سيِّدتي
أسوأ عادات
علّمني أفتحُ فنجاني
في الليلةِ آلافَ المرّات
وأجرّبُ طبَّ العطّارينَ ..
وأطرقُ بابَ العرّافات
علّمني .. أخرجُ من بيتي
لأمشّط أرصفة الطُرقات
وأطاردَ وجهكِ ..
في الأمطارِ، وفي أضواءِ السيّارات
وأطاردَ طيفكِ ..
حتّى .. حتّى ..
في أوراقِ الإعلانات ..
علّمني حُبّكِ ..
كيفَ أهيمُ على وَجهي ساعات
بَحثاً عن شِعرٍ غَجَريٍّ
تحسُدُهُ كُلُّ الغَجريّات
بحثاً عن وجهٍ .. عن صوتٍ ..
هوَ كُلُّ الأوجهِ والأصوات

*

أدخلني حبُّكِ سيِّدتي

مُدُنَ الأحزان
وأنا من قبلكِ لم أدخل
مُدُنَ الأحزان ..
لم أعرف أبداً .. أن الدمعَ هو الإنسان
أن الإنسانَ بلا حزنٍ..
ذكرى إنسان ..
علّمني حبكِ ..
أن أتصرَّفَ كالصّبيان
أن أرسمَ وجهك ..
بالطبشورِ على الحيطان
وعلى أشرعةِ الصَّيادين ..
على الأجراسِ ..
على الصُّلبان ..
علّمني حبكِ ..
كيف الحبُّ يغيّرُ خارطة الأزمان
علّمني .. أنِّي حينَ أُحِبُّ
تكُفُّ الأرضُ عن الدوران ..
علّمني حُبك أشياءً ..
ما كانت أبداً في الحُسبان
فقرأتُ أقاصيصَ الأطفالِ ..
دخلتُ قصورَ ملوكِ الجان
وحلمتُ بأن تتزوجني
بنتُ السلطان
تلكَ العيناها .. أصفى من ماء الخُلجان
تلك الشفتاها .. أشهى من زهرِ الرُّمان
وحلمتُ بأني أخطِفُها ..
مثلَ الفُرسان ..
علَّمني حُبُّكِ ، يا سيِّدتي ، ما الهذيان
علّمني .. كيفَ يمرُّ العُمر ..
ولا تأتي بنتُ السلطان ..
علمني حبك ..
كيف أحبك في كل الأشياء
في الشجر العاري ..

في الأوراق اليابسة الصفراء
في الجو الماطر ، في الأنواء
في أصغر مقهى ..
نشرب فيه ، مساءً ، قهوتنا السوداء
علمني حبك أن آوي ..
لفنادق ليس لها أسماء ..
وكنائس ليس لها أسماء ..
ومقاه ليس لها أسماء ..
علمني حبك ..
كيف الليل يضخم أحزان الغرباء
علمني .. كيف أرى بيروت
إمرأة .. طاغية الإغراء
إمرأة .. تلبس كل مساء
أجمل ما تملك من أزياء
وترش العطر .. على نهديها ..
للبحارة والأمراء ..
علمني حبك ..
أن أبكي من غير بكاء
علمني .. كيف ينام الحزن
كغلام مقطوع القدمين
في طرق " الروشة " و " الحمراء "
علّمني حُبُّكِ أن أحزن ..
وأنا مُحتَاجٌ منذُ عصور
لامرأةٍ .. تَجعَلني أحزن
لامرأةٍ .. أبكي بينَ ذراعيها ..
مثلَ العُصفُور ..
لامرأةٍ .. تَجمعُ أجزائي
كشظايا البللور المكسور ..

قارئة الفنجان

جَلَسَت .. والخوفُ بعينيها
تتأمَّلُ فنجاني المقلوب
قالت :

يا ولدي .. لا تَحزَن
فالحُبُّ عَليكَ هوَ المكتوب
يا ولدي
قد ماتَ شهيداً ..
من ماتَ على دينِ المحبوب
فنجانك .. دنيا مرعبةٌ
وحياتُكَ أسفارٌ وحروب ..
ستُحِبُّ كثيراً يا ولدي ..
وتموتُ كثيراً يا ولدي ..
وستعشقُ كُلَّ نساءِ الأرض ..
وتَرجعُ كالملكِ المغلوب ..

*

بحياتك يا ولدي ، امرأةٌ ..
عيناها ، سبحانَ المعبود
فمُها .. مرسومٌ كالعنقود
ضحكتُها ، موسيقى و ورود
لكنَّ سماءكَ ممطرةٌ ..
وطريقكَ مسدودٌ .. مسدود
فحبيبةُ قلبكَ .. يا ولدي
نائمةٌ في قصرٍ مرصود
والقصرُ كبيرٌ يا ولدي
وكلابٌ تحرسُهُ .. وجنود
وأميرةُ قلبكَ نائمةٌ ..
من يدخُلُ حُجرتها مفقود ..
من يطلبُ يَدَها .. من يَدنو ..
من سورِ حديقتها مفقود
من حاولَ فكَّ ضفائرها
يا ولدي ..
مفقودٌ .. مفقود .. مفقود ..

*

بصَّرتُ .. ونجَّمت كثيراً
لكنّي .. لم أقرأ أبداً
فنجاناً يشبهُ فنجانك

لم أعرف أبداً يا ولدي
أحزاناً تشبهُ أحزانك
مقدُورُكَ .. أن تمشي أبداً
في الحُبِّ .. على حدِّ الخنجر
وتَظلَّ وحيداً كالأصداف
وتظلَّ حزيناً كالصفصاف
مقدوركَ أن تمضي أبداً
في بحرِ الحُبِّ بغيرِ قُلوع
وتُحبُّ .. ملايينَ المَرَّاتِ ..
وترجعُ كالملكِ المخلوع ..

صديقتي وسجائري

واصــل تــدخينك .. يغرينـــي
رجـــل فـــي لحظـــة تدخيـــن
هـــي نقطـــة ضـــعفي كامـــرأة
فاســـتثمر ضـــعفي وجنـــوني
مـــا شـــهى تبغـــك ، والدنيـــا
تســـتقبل أول تشريـــن
والقهـــوة .. والصـــحف الكســـلى
ورؤى .. وحطـــام فناجيـــن
دخـــن لا أروع مـــن رجـــل
يفنـــى فـــي الـــركن .. ويفنينـــي
رجـــل .. تنضـــم أصابعـــه
وتفكـــر مـــن غيـــر جبيـــن ..
أشـــعل واحـــدة مـــن أخـــرى ..
أشـــعلها مـــن جمـــر عيـــوني
ورمـــادك ضـــعه علـــى كفـــي
نيرانـــك ليســـت تؤذنـــي
فأنـــا كـــامرأة .. يرضينـــي
أن ألقـــى نفســـي فـــي مقعـــد
ســـاعات فـــي هـــذا المعبـــد
أتأمـــل فـــي الوجـــه المجهـــد
وأعـــد .. أعـــد .. عـــروق اليـــد

فعـــروق يـــديك تسليني
وخيوط الشـيب هنـا .. وهنـا ..
تنهـــي أعصـــابي .. تنهيني
دخــن .. لا أروع مــن رجــل
يفنـــى فـــي الـــركن .. ويفيني

* * *

أحرقنـــي .. أحــرق بـــي بيتـــي
وتصـــرف فيـــه كمجنـــون ..
فأنـــا كـــامرأة .. يعجبني
أن أشـــعر أنـــك تحميني
أن أشـــعر أن هنـــاك يـــداً
تتســـلل مــن خلــف المقعــد ..
كـــي تمســـح رأســـي وجبيني
تتســـلل مــن خلــف المقعــد
لتـــداعب أذنـــي بســـكون
ولتتـــرك فـــي شـــعري الأســـود
عقـــداً مـــن زهـــر الليمـــون

* * *

دخــن .. لا أروع مــن رجــل
يفنـــى في الركـــن .. ويفنيـــني

إلى تلميذة

قـل لـي - ولـو كـذباً - كلامـاً ناعمـاً
قــد كــاد يقتلنــي بــك التمثــال
مازلــت فــي فــن المحبــة .. طفلــة
بينـــي وبينـــك .. أبحـــر وجبـــال
لــم تســتطيعي ، بعــد ، أن تفهمــي
أن الرجـــال جمـــيعهم أطفـــال
إنـــي لأرفـــض أن أكـــون مهرجـــاً
قزمـــاً ، علـــى كلماتـــه يحتـــال
فـــإذا وقفـــت أمـــام حســـنك صـــامتاً
فالصمت في حرم الجمال .. جمال
كلماتنـــا فـــي الحـــب .. تقتـــل حبنـــا

إن الحــروف تمــوت حــين تقــال ..
قصص الهوى قد أفسدتك .. فكلها
غيبوبـــة .. وخرافـــة .. وخيـــال
الحـــب لـــيس روايـــة شـــرقية
بختامهـــا يتـــزوج الأبطـــال
لكنـــه الإبحـــار دون ســـفينة
وشـــعورنا أن الوصـــول محـــال
هـو أن تظـل علـى الأصـابع رعشـة
وعلـــى الشـــفاه المطبقـــات ســـؤال
هـو جـدول الأحـزان فـي أعماقنـا
تنمـــو كـــروم حولـــه وغـــلال ..
هـــو هـــذه الأزمـــات تســـحقنا معـــاً ..
فنمـوت نحـن .. وتزهـر الآمـال
هـــو أن نثـــور لأي شـــيء تافـــه
هـــو يأســـنا .. هـــو شـــكنا القتـــال
هـــو هـــذه الكـــف التـــي تغتالنـــا
ونقبـــل الكـــف التـــي تغتـــال
*
لا تجرحـــي التمثـــال فـــي إحساســـه
فلكـــم بكـــى فـــي صـــمته تمثـــال
قـد يطلـع الحجـر الصـغير براعمـاً
وتســـيل منـــه جـــداول وظـــلال
إنـــي أحبـــك مـــن خـــلال كـــآبتي
وجهـــاً كوجـــه الله .. لـــيس يطـــال
حسبي .. وحسبك .. أن تظلي دائماً
سراً يمزقني .. وليس يقـــــال ..

لوليتا

- ١ -

صار عمري خمس عشره
صرت أحلى ألف مره
صار حبي لك أكبر
ألف مره ..

ربما من سنتين
لم تكن تهتم في وجهي المدور
كان حسني بين .. بين ..
وفساتيني تغطي الركبتين
كنت آتيك بثوبي المدرسي
وشريطي القرمزي
كان يكفيني بأن تهدي إليَّ
دمية .. قطعة سكر ..
لم أكن أطلب أكثر ..

- ٢ -

... وتطور
بعد هذا كل شيء
لم أعد أقنع في قطعة سكر
ودمى .. تطرحها بين يدي
صارت اللعبة أخطر ..
ألف مره ..
صرت أنت اللعبة الكبرى لديَّ
صرت أحلى لعبة بين يدي
صار عمري خمس عشره ..

- ٣ -

صار عمري خمس عشره
كل ما في داخلي غنى .. وأزهر
كل شيء صار أخضر ..
شفتي خوخ .. وياقوت مكسر
وبصدري ضحكت قبة مرمر ..
وينابيع ، وشمس ، وصنوبر
صارت المرآة ، لو تلمس نهدي ، تتخدر
والذي كان سوياً قبل عامين تدور .. فتصور ..
طفلة الأمس التي كانت على بابك تلعب ..
والتي كانت على حضنك تغفو حين تتعب
أصبحت قطعة جوهر ..
لا تقدر ..

- ٤ -

صار عمري خمس عشره
صرت أجمل ..
وستدعوني إلى الرقص .. وأقبل
سوف ألتف بشال قصبي
وسأبدوا كالأميرات ببهو عربي
أنت بعد اليوم ، لن تخجل في ..
فلقد أصبحت أطول ..
آه .. كم صليت كي أصبح أطول
إصبعاً .. أو إصبعين ..
آه .. كم حاولت أن أظهر أكبر
سنةً .. أو سنتين ..
آه .. كم ثرت على وجهي المدور ..
وذؤاباتي .. وثوبي المدرسي
وعلى الحب بشكل أبوي
لا تعاملني بشكل أبوي
فلقد أصبح عمري خمس عشره ..

الرسم بالكلمات

لا تطلبي مني حســــــــاب حياتي
إن الحديث يطول يا مولاتي ..
كل العصور أنا بها . فكأنما
عمري ملايين من السنوات
تعبت من السفر الطويل حقائبي
وتعبت من خيلي ومن غزواتي
لم يبق نهد أبيض .. أو أســود
إلا زرعت بأرضه راياتي ..
لم تبق زاوية بجسم جميله
الا ومرت فوقها عرباتي
فصلت من جلد النساء عباءة
وبنيت اهراما من الحلمات..
وكتبت شعرا .. لا يشابه سحره
إلا كلام الله في التوراة
*

...واليوم اجلس فوق سطح سفيني
كاللص ، ابحث عن طريق نجاه
وأدير مفتاح الحريم ... فلا أرى
في الظل ، غير جماجم الأموات
أين السبايا ؟ أين ما ملكت يدي؟
أين البخور يضوع من حجراتي؟
اليوم .. تنتقم النهود لنفسها
وترد لي الطعنات بالطعنات..
*
مأساة هارون الرشيد مريرة
لو تدركين مرارة المأساة
إني كمصباح الطريق .. صديقي
أبكي ، ولا احد يرى دمعاتي
الجنس .. كان مسكنا جربته
لم ينه أحزاني ، ولا أزماتي
والحب .. أصبح كله متشابها
كتشابه الأوراق في الغابات
أنا عاجز عن عشق أية نملة
أو غيمة ، عن عشق أي حصاة
مارست ألف عبادة وعبادة
فوجدت أفضلها عبادة ذاتي !
*
فمك المطيب .. لا يحل قضيتي
فقضيتي في دفتري ودواتي ..
كل الدروب أمامنا مسدودة
وخلاصنا في الرسم بالكلمات ..

إلى رجل ما . .

١

يا سيدي العزيز ..
هذا خطاب امرأة حمقاء ..
هل كتبت إليك قبلي امرأة حمقاء ؟
اسمي أنا ؟

دعنا من الأسماء
رانية ، أم زينب ، أم هند ، أم هيفاء
اسخف ما نحمله ـ يا سيدي ـ الأسماء ..

٢

يا سيدي !
أخاف أن أقول ما لدي من أشياء
أخاف ـ لو فعلت ـ أن تحترق السماء
فشرقكم يا سيدي العزيز
يصادر الرسائل الزرقاء
يصادر الأحلام من خزائن النساء
يستعمل السكين .. والساطور ..
كي يخاطب النساء ..
ويذبح الربيع ، والأشواق ، والضفائر السوداء
و شرقكم يا سيدي العزيز
يصنع تاج الشرف الرفيع .. من جماجم النساء ..

٣

لا تنتقدني سيدي ..
إن كان خطي سيئاً ..
فإنني أكتب .. والسياف خلف بابي
وخارج الحجرة صوت الريح والكلاب
يا سيدي !
عنترة العبسي خلف بابي
يذبحني .. إذا رأى خطابي
يقطع رأسي ..
لو رأى الشفاف من ثيابي ..
يقطع رأسي .. لو أنا عبرت عن عذابي
فشرقكم يا سيدي العزيز
يحاصر المرأة بالحراب ..
وشرقكم ، يا سيدي العزيز
يبايع الرجال أنبياء
ويطمر النساء في التراب ..

٤

لا تنزعج !

يا سيدي العزيز .. من سطوري
لا تنزعج !
إذا كسرت القمقم المسدود من عصور
إذا نزعت خاتم الرصاص عن ضميري
إذا أنا هربت من أقبية الحريم في القصور
إذا تمردت على موتي ، على قبري ، على جذوري
و المسلخ الكبير ..
لا تنزعج يا سيدي
إذا أنا كشفت عن شعوري
فالرجل الشرقي .. لا يهتم بالشعر و لا الشعور
الرجل الشرقي – واغفر جرأتي -
لا يفهم المرأة إلا داخل السرير ..
٥
معذرة يا سيدي
إذا تطاولت على مملكة الرجال
فالأدب الكبير ـ طبعاً ـ أدب الرجال
والحب كان دائماً .. من حصة الرجال ..
والجنس كان دائماً
مخدراً يباع للرجال
خرافة حرية النساء في بلادنا
فليس من حرية أخرى ، سوى حرية الرجال ..
يا سيدي !
قل ما تريده عني .. فلن أبالي
سطحية .. غبية .. مجنونة .. بلهاء ..
فلم أعد أبالي
لأن من تكتب عن همومها
في منطق الرجال ، تدعى امرأة حمقاء
ألم اقل في أول الخطاب ..
إني امرأة حمقاء ..

رسالة من سيدة حاقدة

" لا تَدخُلي " ..
وسَدَدْتَ في وجهي الطريقَ بمرفَقَيْكْ

وزعمْتَ لي ..
أنَّ الرّفاقَ أتوا إليكْ ..
أهمُ الرفاقُ أتوا إليكْ ؟
أم أنَّ سيِّدةً لديكْ
تحتلُّ بعديَ ساعدَيكْ ؟
وصرختَ مُحتدِماً :
" قِفي " !!
والريحُ تمضغُ معطفي
والذلُّ يكسو موقفي
لا تعتذِر ، يا نَذلُ ، لا تتأسَّفِ .
أنا لستُ آسِفَةً عليكْ ..
لكنْ على قلبي الوفي
قلبي الذي لم تعرفِ ..

*

ماذا ؟ لو انَّكَ يا دَني
أخبرتَني ..
أنّي انتهى أمري لديكْ
فجميعُ ما وَشْوَشْتَني ..
أيّامَ كُنتَ تُحِبُّني ..
من أنّني ..
بيتُ الفراشةِ مسكني
وغَدي انفراطُ السّوسَنِ ..
أنكرتَهُ أصلاً .. كما أنكَرتَني ..

*

لا تعتذِرْ ..
فالإثمُ يَحصُدُ حاجبَيكْ
وخطوطُ أحمرِها .. تصيحُ بوجنتَيكْ
ورباطُك المشدوهُ ..
يفضحُ ما لديكَ .. ومَنْ لديكْ
يا مَنْ وقفتُ دَمي عليكْ
وذلَلتَني ..
ونَفضتَني
كذُبابةٍ عن عارضَيكْ

ودعوتَ سيِّدةً إليكْ
وأهنتَني ..
مِن بعدِ ما كُنتُ الضياءَ بناظريكْ ..

*

إنّي أراها في جوارِ الموقدِ
أخَذَتْ هنالكَ مقعدي ..
في الرُّكنِ .. ذاتِ المقعدِ ..
وأراكَ تمنحُها يَداً ..
مثلوجةً ..
ذاتَ اليدِ ..
ستردِّدُ القصص التي أسمعتَني
ولسوفَ تخبرُها بما أخبرتَني ..
وسترفعُ الكأسَ التي جَرَّعتَني
كأساً بها سمَّمتَني ..
حتّى إذا عادَتْ إليكْ
نشوى بموعدَها الهني ..
أخبرتَها " أنَّ الرّفاقَ أتوا إليكْ .. "
وأضعتَ رونَقَها كما ضَيَّعتَني ..

حُبلى

لا تَمْتَقِعْ !
هي كِلمَةٌ عَجْلى
إنّي لأشعُرُ أنّني حُبلى ..
وصرختَ كالمسلوعِ بي .. " كَلاّ " ..
سنُمَزِّقُ الطفلا ..
وأخذْتَ تشتِمُني ..
وأردْتَ تطردُني ..
لا شيءَ يُدهِشُني ..
فلقد عرفتُكَ دائماً نَذْلا ..

*

وبعثتَ بالخَدَّام يدفعُني ..
في وحشةِ الدربِ
يا مَنْ زَرَعتَ العارَ في صُلبي

وكسرتَ لي قلبي ..
ليقولَ لي :
" مولايَ ليسَ هُنا .. "
مولاهُ ألفُ هُنا ..
لكنَّهُ جَبُنا ..
لمّا تأكّدَ أنّني حُبلى ..

*

ماذا .. أتبصِقُني ؟
والقيءُ في حَلقي يدمِّرُني
وأصابعُ الغَثَيانِ تخنقُني ..
ووريثُكَ المشؤومُ في بَدَني
والعارُ يسحقُني ..
وحقيقةٌ سوداءُ .. تملؤني
هي أنّني حُبلى ..

*

ليراتُكَ الخمسون ..
تُضحكُني ..
لمَن النقودُ .. لِمَنْ ؟
لتُجهضَني ؟
لتخيطَ لي كَفَني ؟
هذا إذَنْ ثَمَني ؟
ثمنُ الوَفا يا بُؤرَةَ العَفَنِ ..
أنا لم أجِئكَ لِمالِكَ النتِنِ ..
" شكراً .. "
سأُسقِطُ ذلكَ الحَمْلا
أنا لا أريدُ لهُ أباً نَذْلا ..

أوعية الصَّديد

" لا .. لا أريد .. "
" المرة الخمسون .. إني لا أريد .. "
ودفنتَ وجهكَ للجدار .. أيا جداراً من جليد
وأنا وراءك – يا صغير النفس – نابحة الوريد
شعري على كتفي بديد ..

والريح تفتل مقبض الباب الوصيد
ونباح كلبٍ من بعيد
والحارسُ الليليُّ ، والمزراب متصل النشيد ..
حتى الغطاء .. سرقته
وطعنت لي الأملَ الوحدْ
أملي الذي مزقته ..
أملي الوحيد ..
ماذا أريدْ ؟
وقُبيل ثانيتين ..
كنت تجول كالثور الطريد
والآن ..
أنت بجانبي ..
قفصٌ من اللحم القديد ..
ما أشنع اللحم القديدْ ..
ماذا أريد ؟
يا وارثاً عبد الحميد ..
والمتكى التركيُّ ، والنرجلية الكَسلى تئن وتستعيد
والشركسيات السبايا حول مضجعه الرغيدْ
يسقطن فوق بساطه ..
جيداً فجيدْ ..
وخليفة الإسلام ، والملك السعيدْ
يرمي .. ويأخذ ما يريد ..
لا .. لم يمت عبد الحميدْ
فلقد تقمص فيكم عبد الحميدْ
حتى هنا . حتى على السرر المقوسة الحديدْ
نحن النساء لكم عبيدْ
وأحط أنواع العبيدْ ..
كم مات تحت سياطكم نهد شهيدْ
وبكى من استثارهم خصرٌ عميدْ ..
*
ماذا أريد ؟
لا شيء . يا سفاح . يا قرصان . يا قبو الجليدْ
فأنا وعاءٌ للصديدْ ..

يا ويل أوعية الصديدْ ..
هي ليست تملك .. أن تريدَ ولا تريدْ ..

إلى قديسة

ماذا إذن تتوقعين ؟
يا بضعة امرأة .. أجيبي .. ما الذي تتوقعين ؟
أأظلُّ أصطاد الذباب هنا ؟ وأنتِ تدخنين
أجترّ كالحشّاش أحلامي ..
وأنتِ تدخنين ..
وأنا أمام سريرك الزاهي كقطٌ مستكين ..
ماتت مخالبه ، وعزته ، وهدّته السنين
أنا لن أكون - تأكدي - القطّ الذي تتصورين ..
قطًّا من الخشب المجوّف .. لا يحركه الحنين
يغفو على الكرسيّ إذ تتجردين
ويردّ عينيه .. إذا انحسرت قباب الياسمين ..
* * *
تلكَ النهاية ليس تدهشني ..
فما بالك تُدهشين ؟
هذا أنا .. هذا الذي عندي ..
فماذا تأمرين ؟
أعصابيَ احترقت .. وأنتِ على سريركِ تقرأين
أأصوم عن شفتيك ؟
فوق رجولتي ما تطلبين ..
ما حكمتي ؟
ما طيبتي ؟
هذا طعام الميتين ..
متصوف ! من قال ؟ إني آخر المتصوّفين
أنا لستُ يا قديستي الربّ الذي تتخيلين
رجلٌ أنا كالآخرين
بطهارتي ..
بنذالتي ..
رجل أنا كالآخرين

فيه مزايا الأنبياء ، وفيه كفر الكافرين
وداعة الأطفال فيه ..
وقسوة المتوحّشين ..
* * *
رجل أنا كالآخرين ..
رجل يحبّ - إذا أحبّ - بكل عنف الأربعين
لو كنتِ يومًا تفهمين
ما الأربعون .. وما الذي يعنيه حبّ الأربعين
يا بضعة امرأة .. لو أنكِ تفهمين ..

إلى أجيرة

بدراهمي !
لا بالحديث الناعم
حطمت عزتكِ المنيعة كلها .. بدراهمي
وبما حملتُ من النفائسِ ، والحرير الحالم
فأطعتني ..
وتبعتي ..
كالقطة العمياء مؤمنة بكل مزاعمي ..
فإذا بصدرك – ذلك المغرور – ضمن غنائي
أين اعتدادكِ ؟
أنتِ أطوع في يدي من خاتمي ..
قد كان ثغرك مرّة ..
ربي .. فأصبح خادمي
آمنت بالحسن الاجير .. وطأته بدراهمي ..
وركلته ..
وذللته ..
بدمي ، بأطواق كوهم الواهم ..
ذهبٌ .. وديباجٌ .. وأحجارٌ تشعّ فقاومي !!
أي المواضع منك .. لم تهطل عليه غمائمي
خيرات صدرك كلها ..
من بعض .. بعض مواسمي ..
بدراهمي !
بإناءِ طيبٍ فاغم

ومشيت كالفأر الجبان إلى المصير الحاسم
ولهوتُ فيك .. فما انتختْ شفتاك تحت جرائمي
والأرنبتن الأبيضان .. على الرخام الهاجم
جبنا .. فما شعرا بظلم الطالم ..
وأنا أصب عليهما ..
ناري .. ونار شتائمي ..
ردي .. فلست أطيقُ حسناً ..
لا يرد شتائمي ..

*

مسكينة ..
لم يبق شيء منك .. منذ استعبدتكِ دراهمي !!

لن تطفئي مجدي

ثرثرت جداً .. فاتركينـــــــي
شيء يمزق لــــــي جبينـــي
أنــــــا في الجحيم ، وأنت لا
تدرين مـــــــاذا يعترينـــــي
لن تفهمي معنى العـــــــذاب
بريشتي .. لـــن تفهمينـــــي
عميـــــاء أنت .. ألم تــــري
قلبي تجمـــــع في عيونـــــي ؟
مـــات الحنين .. أتسمعيـــن ؟
ومُتِّ أنتِ مـــــع الحنيـــن
لا تسأليـــني .. كيـــف قصتنا
إنتهـــت ، لا تســـأليني
هي قصة الأعصاب ، والأفيون
والـــــــــدم .. والجـــنون
مـــــــرّت .. فلا تتذكـــــري
وجهـــي .. ولا تتذكرينـــي
إن تنكريها .. فأقـــــــرأي
تاريخ ســـخفكِ .. في غضونـــي

*

أمريضة الأفكــــــــار .. يأبـــى

الليــــل أن تستضعفينـــــــــي
لن تطفـــئي مجدي علــــــــى
قــــــدح   ..   وضمة ياسميــــن
إن كان حبكِ .. أن أعيـــــــــش
على هـــــرائكِ .. فأكرهينــــي ..
*
حاولتِ حرقي .. فإحترقــــــــتِ
بنـــــارِ نفسكِ   ..   فأعذرينــــي
لا تطلبي دمعــــــــي   ،   أنــــا
رجــــــل يعيش بـــــلا جفـــون
مزقــت أجمـــل ما كتبــــــــت
وغـــــرتِ حتى مـــن ظنونــــي
وكسرت لوحاتي ، وأضرمــت
الحرائـــقَ في سكـــــــونــــي
وكرهتني .. وكرهت فنـــــاً
كنت أطعمه عيـــــونــــي
ورأيتــــني أهب النجـــــوم
محبــــتي فوقفــــــت دونـــي
حاولـــتُ أن أعطيك مـــــن
نفسي ، ومن نور اليقيــن
فسخرت من جهدي ، ومـــن
ضرباتِ مطرقتي الحنـــون
وبقيت – رغــم أناملــــــــي -
طيناً تـــراكم فوق طيـــن
لا كنـــــت شيئاً .. في حســـاب
الذكـــــريات ، ولـــن تكوني
*
شفـــــتي سأقطعها .. ولـــــــن
أمشي إليــــــك على جبينـــي ..

إلى نهدين مغرورين

عندي المزيد من الغرور .. فلا تبيعني غرورا
إن كنت أرضى أن أحبكِ ..

فاشكري المولى كثيرا ..
من حُسن حظك ..
أن غَدَوْتِ حبيبتي .. زمناً قصير
فأنا نفخت النارَ فيكِ ..
وكنتِ قبلي زمهريرا ..
وأنا الذي أنقذت نهدكِ من تسكعهِ ..
لأجعله أميرا ..
وأدرته .. لولا يداي .. أكان نهدك مستديرا ؟
وأنا الذي حرضتُ حلمتكِ الجبانة كي تثورا
وأنا الذي ..
في أرضك العذراءِ .. ألقيتُ البذورا
فتفجرتْ .. ذهباً ، وأطفالاً ، وياقوتاً مثيرا

مِنْ حُسْن حظكِ .. أن تحبيني
ولو كذباً وزورا ..
فأنا بأشعاري فتحت أمامك البابَ الكبيرا
وأنا دللتُ على أنوثتكِ .. المراكبَ والطيورا
وجعلت منكِ مليكةً
ومنحتكِ التاجَ المرَصع ، والسريرا
حسبي غروراً أنني علمتُ نهديكِ الغرورا
فلتشكري المولى كثيرا ..
أني عشقتكِ ذاتَ يومٍ ..
أشْكُري المولى كثيرا ..

الخرافة

حين كنا ..
في الكتاتيب صغارا
حقنونا بسخيف القول ليلاً ونهارا
درسونا :
" ركبة المرأة عوره .. "
" ضحكة المرأة عوره .. "
" صوتها – من خلف ثقب الباب – عوره .. "
صورونا الجنس لنا ..

غولاً بأنيابٍ كبيرهْ
يخنقُ الأطفالَ ، يقتات العذارى
خوفونا ..
من عذاب الله ، إن نحن عشقنا
هددونا ..
بالسكاكين .. إذا نحن حلمنا
فنشأنا ..
كنباتات الصَحَارىَ
نلعقُ الملحَ ، ونستافُ الغبارا

يوم كانَ العلمُ في أيامنا ..
فلقةً تُمسكُ رجْليْنا .. وشيخاً .. وحصيرا
شوهونا ..
شوهوا الإحساس فينا والشعورا
فصَلوا أجسادنا عنا .. عصوراً وعصورا
صوروا الحب لنا .. باباً خطيرا
لو فتحناه .. سقطنا ميتينْ ..
فنشأنا ساذجينْ
وبقينا ساذجينْ
نحسب المرأة شاةً أو بعيرا
ونَرى العالم جنساً وسريرا ..

القصيدة المتوحشة

أحبيني بلا عقدِ ..
وضيعي في خطوط يدي
أحبيني لأسبوع ، لأيام ، لساعاتٍ ..
فلست أنا الذي يهتم بالأبدِ ..
أنا تشرينُ ..
شهر الريح ، والأمطار ، والبردِ ..
أنا تشرينُ .. فانسحقي
كصاعقة على جسدي ..

أحبيني . بكل توحش التتر

بكل حرارة الأدغال ، كل شراسة المطر
ولا تبقي .. ولا تذري
ولا تتحضري أبداً ..
فقد سقطت على شفتيكِ كل حضارة الحضر

أحبيني كزلزال ..
كموت غير منتظر ..
وخلي نهدك المعجون بالكبريت والشرر
يهاجمني .. كذئبٍ ، جائعٍ ، خطر ..
وينهشني .. ويضربني
كما الأمطار تضرب ساحل الجزرِ
أنا رجل بلا قدرٍ ..
فكوني أنت لي قدري ..
وأبقيني على نهديك مثل النقش في الحجر ..

أحبيني .. ولا تتساءلي كيفا
ولا تتلعثمي خجلاً .. ولا تتساقطي خوفاً .
فحين الحب يضربنا ..
فلا (لماذا) ولا (كيفا) ..
أحبيني .. بلا شكوى
أيشكو الغمد إذ يستقبل السيفا
وكوني البحر والميناء ، كوني الأرض والمنفى
وكوني الصحو والإعصار ..
كوني اللين والعنفا
أحبيني .. بألف وألف أسلوب
ولا تتكرري كالصيف .. إني أكره الصيفا ..
أحبيني .. وقوليها
لأرفض أن تحبيني بلا صوتِ
وأرفض أن أواري الحب في قبرٍ من الصمتِ
أحبيني ..
بعيداً عن بلاد القهرِ والكبتِ ..
بعيداً عن مدينتنا التي شبعت من الموتِ ..
بعيداً عن تعصبها ..

بعيداً عن تخشبها
أحبيني .. بعيداً عن مدينتنا
التي من يوم أن كانتْ
إليها الحب لا يأتي ..
إليها الله لا يأتي ..

أحبيني ..
ولا تخشيْ على قدميك ، سيدتي ، من الماءِ
فلن تتعمدي امرأةً ..
وجسمك خارج الماءِ ..
وشعرك خارج الماءِ ..
فنهدك بطة بيضاءُ .. لا تحيا بلا ماءِ
أحبيني بطهري أو بأخطائي ..
بصحوي أو بأنوائي ..
وغطيني ، أيا سقفاً من الأزهار ، يا غابات حناء
تعري .. واسقطي مطراً على عطشي وصحرائي
وذوبي في فمي كالشمع .. وانعجني بأجزائي ..
تعري .. واشطري شفتي
إلى نصفين .. يا موسى بسيناء ..

نهداك

سمـــــراءُ .. صبي نهدك الأسمرَ في دنيـــا فمـــي
نهــداكِ نبعَا لـــذة حمـــراء تشعل لي دمـــــي
متمردان على الســـماء ، على القميص المنعـــــم
صـنـمان ِ عاجيان ِ ... قد ماجا ببحـــر ٍ مضــــرم
صنمان .. إني أعبـــدُ الأصنامَ رغم تــــــــأثمي

فكي الغلالة .. واحسـري عن نهدك المتضــــــرم
لا تكبتي النارَ الحبيسة ، وارتعاشَ الأعظـــــــم
نـــــار الهوى ، في حلمـــتيكِ ، أكولة كجهنــــمِ
خمـــــريتان .. احمــرتا بلظى الدمِ المتهجـــمِ ..
محــــروقتان .. بشوةٍ تبكي ، وصبرٍ ملجـــم

نهداكِ وحشيان .. والمصباح مشدوه الفـــــــــم
والضوء منعكس على مجـــرى الحليب المعتـــم
وأنا أمـــدُّ يـــدي .. وأسرقُ من حقول الأنجــم
والحلمة الحمقاءُ .. ترصدني بظفر مُجــــرم
وتغـــط إصبعها وتغمسهـــا بحبر من دمـــي ..

يـــا صلبة النهديــن .. يأبى الوهم أن تتوهمـــي
نهداك أجمـــلُ لوحتيـن على جـــدار المرسم ..
كـرتان من زغب الحرير ، من الصباح الأكـــرام
فتقدمي ، يا قطـــتي الصغـــرى ، إلـــي تقدمي ..
وتحــــرري مما عليك .. وحطمني .. وتحطمني ..

مغرورة النـهديـن .. خلي كبرياءك وانعمـــي
بأصابعي ، بزوابعي ، برعونـــتي ، بتهجمي
فغـــداً شبابك ينطفي مثـــل الشعاع المـــضرم
وغداً سيذوبني النهد والشفتان منك .. فأقدمي
وتفكــري بمصير نهداكِ .. بعد موتِ الموسم

لا تفزعي .. فاللثم للشعراء غـــيرُ محــــرمِ
فكي أسيري صدركِ الطفلين .. لا .. لا تظلمي
نهداك ما خلقنا للثم الثوب .. لكن .. للفـــم
مجنونة من تحجب النهدين .. أو هي تحتمي
مجنونة .. من مـرَّ عهد شبابها لـم تلثـمِ ..

.. وجذبتُ منها الجسمَ ، لم تنفرْ ولم تتكلـمِ
مخمـــورة .. مالـــتْ عليَّ بقـدهــا المتهـدمِ
ومضتْ تعللني بهــــذا الطافـــر المتكـــومِ
وتقول في سكرٍ ، معربدة ، بأرشق مبســـمِ
" يا شاعري .. لم ألقَ في العشرين مَنْ لم يفطم .. "

القصيدة الشريرة

مطـرٌ .. مطـرٌ .. وصديقتها
معهــا .. ولتشرينَ نــــواحُ

والباب تئـــن مفاصلـــه
ويعربــد فيــه المفتـــاح
شيء بينهمـــا .. يعرفـــه
إثنـــان .. أنـــا والمصبـــاح
وحكايـــة حـــب لا تحـــكى
في الحب يموت الإيضاح ..
الحجـرة فوضى .. فحـــلي
تـُـــرمى ، وحريـــر ينزاحُ
ويغــــادر زرٌّ عروتـــــه
بفتور ، فالليــــل صبــــاح
الذئبـــة ترضـــعُ ذئبتهـــــا
ويـــدٌ تجتـــاحُ .. وتجتـــاحُ
ودثارٌ فــــرَّ .. فواحــــدةٌ
تـُدنيـــه ، وأخـــرى ترتـــاح
وحـــوارُ نهـــودٍ أربعـــــةٍ
تتهامـــس .. والهمس مباحُ
كطيـور بيض .. في روض
تتناقــرُ .. والـــريشُ سلاحُ
حَبَـــاتُ العقـدين .. انفرطتْ
من لهـــوٍ ، وانهـــدَّ وشاحُ
فاللحـــمُ الطفلُ ، يمزقـــهُ
في العتمــة ، ظفــرٌ سَفــاحُ
وجزارة شعــر .. وانقطعتْ
فالصوتُ المهموسُ نبـــاحُ
ويكســـرُ نهـــدٌ واقعــــهُ
ويثــــورُ .. فللجُرْح جراحُ
ويموت المـوتُ .. ويستلقي
ممـــا عانـــاه المصبـــاحُ
*
يا أختي . لا .. لا تضطربي
إني لـــكِ صـــارٌ وجنـــاحُ
أتراني كونــــت امـــــرأة
كي تمضغ نهدي الأشباح ؟

أشذوذ ، أختاه ، إذا مـــا
لثـــــمَ التفـــاحَ التفـــاحُ ؟
نحـــنُ امرأتـــان .. لما قمم
ولنـــــا أنـــواءٌ وريـــاحُ ..

مطرٌ .. مطرٌ .. وصديقتهـا
معهـــا .. ولتشريـــن نـــواحُ
والبابُ تئـــن مفاصلـــــــهُ
ويعربـــدُ فيه المفتـــــــاحُ ..

البغي

١

علّـقتْ في بابهـــــا قنديلهـــــــــا
نازفَ الشريان ، محمــــــــر الفتيله
في زقـــــــاقٍ ضَوأت أو كـــــارهُ
كـــــل بيتٍ فيه ، مأساةٌ طويلـــــــهْ
غرفٌ .. ضيقــــــــــــةٌ .. موبوءةٌ
وعناويـــن لِـ (ماري) و (جميله)
وبمقهى الحي .. حـــاكٍ هـــــــرمٌ
راح يجتـر أغانيـــه الذليلـــــــــه
وعجـــــوز خلــــــــف نرجيلتها
عُمْــــرُها أقدم من عُمــــــر الرذيله
إنــها آمِـــــرة البيت هنـــــــــا ..
تشتم الكسلى ، وتسترضي العجولــه
وأمام الباب .. صعلـــــوك هـــوى
تافه الهيئة ، مسلوب الفضيلــــــــه
يعرضُ اللحم على قاضِمِــــــــــه ..
مثلمــــا يعـــرض سمسارٌ خيولــه
" هذه .. جاءت حديثـــــاً .. سيدي
ناهــــدٌ ما زال في طور الطفوله ..
أو إذا شئتَ .. فرافق هــــــــــذه
إنها أشهى من الخمر الأصيلــه .. "
أي رقٍّ .. مثـــل أنثـــى ترتمـــــي

تحت شاريها ، بأوراق ضئيلـــه
قيمة الإنسان ، مـــا أحقرهـــا
زعموه غايـــةً .. وهو وسيلـــهْ ..
٢
لو تـــرى الردهـــة فيهـا اضجعت
كـــل بنتٍ كانفتـــــاح الزهره
نهـــدهـــا منتظـــرٌ جـــــزاره
صابـــر حتـــى يلاقي قـــدره
هـــذه المـــذهبة السن .. هنـــا
ترقـــــب الباب بعـــين حـــذره
حسرت عـــن ركبـــةٍ شاحبـــةٍ
لونهـــا لـــون الحياة المُنكـــره
مـــن سيأتي ؟ من سيأتي معهـا ؟
أي صعلوك . حقـــير ، نَكِـــرَهْ ؟
وهنـــاك .. انفـــردت واحـــدةٌ
عطرنا أرخص من أن أذكـــره ..
حاجـــب بُولغَ في تخطيطـــــه
وطـــلاء كجـــدار المقبره ..
وفـــمٌ .. متسِـــعٌ .. متسِـــعٌ
كغـــلافِ التينة المعتـــــصره
الفضوليـــون من خلف الكـــوى
أعيـــنٌ ، جائعـــة مستعـــرَه
وشجـــارٌ دائـــرٌ في منـزلٍ
وسُكارى .. ونكـــات قذره ..
من رآهُـــن .. قواريـــرَ الهـوى
كنعـــاجٍ بانتظـــار المجـزره
كـــم صبَايا ، مثل ألـــوان الضحى
أفسدتهـــن عجـــوزٌ خطـــرهْ
٣
هـــذه المجدورة الوجه انـــزوتْ
كوبـــاءٍ .. كبعـــير نتـــــن
أخرجـــت ساقاً لهـــا معروقـــة
مثل ميـــتٍ خارجٍ من كفـــنِ ..

حفـــــرٌ في وجهها مُرعبـــــــةٌ
تَرَكتـها عَجَـــلات الزمـــــن ..
نهدهـــا حبـةُ تـــينٍ .. نشفــت
رَحِـــمَ الله زمـــان اللبـــنِ ..
فالعصافير التي كانـــــت هُنـــــا
تتغـــذى بالشذا والسوســــــن
كلهـــا طارت بعيداً .. عندمــــا
لم يعــدْ في الأرض غير الدِمَـــنِ
إنها الخمسونَ .. مـــــاذا بعدها ؟
غير أمطـــارِ الشتـــاء المحــزن
إنها الخمسون .. ماذا ظـــل لي ؟
غير هذا الوَحْــلِ ، هذا العفـــنِ
غير هـــذي الكأس أستهلكهـــا
غـــير هـــذا التبـغ يستهلكــــني
غير تاريـــخٍ مُدَمـــى .. حيثما
سرتُ ، ألقى ظلـــه يتبعُــــني
غيرُ أقـــدامِ الخطايا .. رجعـــتْ
تُحْــرقُ الغرفة بي .. تُحْرقــــني
غـــيرُ ربٍّ .. كنتُ لا أعرفــــه
وأراه الآن .. لا يعرفــــني ..

٤

يا لصوص اللحم .. يا تُجــــارهُ
هكـــذا لحــمُ السبايا يؤكـــــلُ
منذ أن كان على الأرض الهـــوى
أنتـُمُ الذئـــب .. ونحـــن الحمـــل
نحــــن الآتُ هـــوىً مجهَـــدةٌ
تفعـــلُ الحُـــبَّ ، ولا تنفعــلُ ..
أنـْبُشُوا في جثـــثٍ فاســـــدة
سارق الأكفانِ لا يختجــــــل
وارقصوا فوق نهـــودٍ صُلبَـــتْ
مات فيها النورُ .. مات المخمَـــل
من أنا ؟ إحـــدى خطاياكــم أنـــا
نعجــــةٌ في دمكـــمْ تغتســـل

أشتهي الأسرةَ والطفـــــــلَ .. وأن
يحتويني ، مثـــل غـــيري ، منزل
أرجموني .. سددوا أحجاركـــــــم
كلكـــم يـــوم سقوطـــــــي بطلُ
يا قضاتي ، يا رمـــــاتي ، إنكـــمْ
إنكــــــمْ أجبـــن من أن تعدلوا ..
لـــن تخيفوني فـــي شرعتكـــمْ
يُنصرُ الباغي ، ويرمى الأعـــزل
تُسْـأل الأنثـــى إذا تزني .. وكـــم
مجرمٍ دامي الزنـــا .. لا يُســـأل
تسقط البنتُ ، ويحــــمى الرجلُ ..

الحب والبترول

متى تفهمْ ؟
متى يا سيّدي تفهمْ ؟
بأنّي لستُ واحدةً ..
كغيري ، من صديقاتكْ
ولا فتحاً نسائيّاً ..
يُضافُ إلى فتوحاتكْ
ولا رقماً من الأرقامِ يعبرُ في سجلاّتكْ ..
متى تفهمْ ؟
متى تفهمْ ؟
أيا جَمَلاً من الصحراءِ لم يُلجمْ ..
ويا مَن يأكلُ الجدريُّ منكَ الوجهَ والمعصمْ
بأنّي لن أكونَ هنا ..
رماداً في سجاراتكْ
ورأساً ، بينَ آلافِ الرؤوسِ ، على مخدّاتكْ
وتمثالاً تزيدُ عليهِ ، في حمّى مزاداتكْ
ونهداً فوقَ مرمرهِ ..
تسجّلُ شكلَ بصماتكْ ..
متى تفهمْ ؟

متى تفهمْ ؟

بأنّكَ لن تخدّرني بجاهكَ أو إماراتكْ
ولنْ تتملّكَ الدنيا.. بنفطكَ وامتيازاتكْ
وبالبترولِ يعبقُ من عباءاتكْ ..
وبالعرباتِ .. تطرحُها على قدميْ عشيقاتكْ
بلا عددٍ .. فأينَ ظهورُ ناقاتكْ ؟
وأينَ الوشمُ فوقَ يديكَ ، أينَ ثقوبُ خيماتكْ ؟
أيا متشقّقَ القدمينِ .. يا عبدَ انفعالاتكْ
ويا مَن صارتِ الزوجاتُ بعضاً من هواياتكْ
تكدّسهنَّ بالعشراتِ .. فوقَ فراشِ لذّاتكْ
تحنّطهنَّ كالحشراتِ .. في جدرانِ صالاتكْ
متى تفهمْ ؟

متى يا أيها المُتخمْ ؟
متى تفهمْ ؟
بأنّي لستُ مَن تهتمّ ..
بناركَ أو بجنَّاتكْ ..
وأن كرامتي أكرمْ ..
منَ الذهبِ المكدّسِ بين راحاتكْ
وأن مناخَ أفكاري غريبٌ عن مناخاتكْ
أيا من فرّخَ الإقطاعُ في ذرّاتِ ذرّاتكْ
ويا مَن تخجلُ الصحراءُ حتّى من مناداتكْ ..
متى تفهمْ ؟

تمرّغ .. يا أميرَ النفطِ ، فوقَ وحولِ لذّاتكْ
كممسحةٍ .. تمرّغ في ضلالاتكْ
لكَ البترولُ .. فاعصرهُ
على قدَمي خليلاتكْ
كهوفُ الليلِ في باريسَ .. قد قتلتْ مروءاتكْ
على أقدامِ مومسةٍ هناكَ..
دفنتَ ثاراتكْ ..
فبعتَ القدسَ .. بعتَ الله .. بعتَ رمادَ أمواتكْ
كأنَّ حرابَ إسرائيلَ لم تُجهضْ شقيقاتكْ
ولم تهدمْ منازلنا

ولم تحرقْ مصاحفنا
ولا راياتُها ارتفعت على أشلاءِ راياتكْ ..

كأنَّ جميعَ من صُلبوا ..
على الأشجارِ في يافا ..
وفي حيفا ..
وبئرَ السبعِ .. ليسوا من سُلالاتكْ
تغوصُ القدسُ في دمها
وأنتَ صريعُ شهواتكْ
تنامُ .. كأنّما المأساةُ ليستْ بعضَ مأساتكْ
متى تفهمْ ؟
متى يستيقظُ الإنسانُ في ذاتكْ ؟

خمس رسائل إلى أمي

١

صباحُ الخيرِ يا حلوه..
صباحُ الخيرِ يا قدّيستي الحلوه
مضى عامانِ يا أمّي
على الولدِ الذي أبحر
برحلتهِ الخرافيّه
وخبّأ في حقائبهِ
صباحَ بلادهِ الأخضر
وأنجمَها، وأنهُرها، وكلَّ شقيقها الأحمر
وخبّأ في ملابسهِ
طرابيناً منَ النعناعِ والزعتر
وليلكةً دمشقية..

٢

أنا وحدي..
دخانُ سجائري يضجر
ومنّي مقعدي يضجر
وأحزاني عصافيرٌ..
تفتّشُ –بعدُ- عن بيدر
عرفتُ نساءَ أوروبا..

عرفتُ عواطفَ الإسمنتِ والخشبِ
عرفتُ حضارةَ التعبِ..
وطفتُ الهندَ، طفتُ السندَ، طفتُ العالمَ الأصفر
ولم أعثر..
على امرأةٍ تمشّطُ شعريَ الأشقر
وتحملُ في حقيبتها..
إليَّ عرائسَ السكّر
وتكسوني إذا أعرى
وتنشُلني إذا أعثَر
أيا أمي..
أيا أمي..
أنا الولدُ الذي أبحر
ولا زالت بخاطرهِ
تعيشُ عروسةُ السكّر
فكيفَ.. فكيفَ يا أمي
غدوتُ أباً..
ولم أكبر؟

٣

صباحُ الخيرِ من مدريدَ
ما أخبارها الفلّة؟
بها أوصيكِ يا أمّاهُ..
تلكَ الطفلةُ الطفله
فقد كانت أحبَّ حبيبةٍ لأبي..
يدلّلها كطفلتهِ
ويدعوها إلى فنجانِ قهوتهِ
ويسقيها..
ويطعمها..
ويغمرها برحمتهِ..
.. وماتَ أبي
ولا زالت تعيشُ بحلمِ عودتهِ
وتبحثُ عنهُ في أرجاءِ غرفتهِ
وتسألُ عن عباءتهِ..
وتسألُ عن جريدتهِ..

وتسألُ –حينَ يأتي الصيفُ-
عن فيروزِ عينيه..
لتنثرَ فوقَ كفّيهِ..
دنانيراً منَ الذهبِ..

٤

سلاماتٌ..
سلاماتٌ..
إلى بيتٍ سقانا الحبَّ والرحمة
إلى أزهاركِ البيضاءِ.. فرحةِ "ساحةِ النجمة"
إلى تختي..
إلى كتبي..
إلى أطفالِ حارتنا..
وحيطانٍ ملأناها..
بفوضى من كتابتنا..
إلى قططٍ كسولاتٍ
تنامُ على مشارقنا
وليلكةٍ معرشةٍ
على شبّاكِ جارتنا
مضى عامانِ.. يا أمي
ووجهُ دمشقَ،
عصفورٌ يخربشُ في جوانحنا
يعضُّ على ستائرنا..
وينقرنا..
برفقٍ من أصابعنا..

٥

مضى عامانِ يا أمي
وليلُ دمشقَ
فلُّ دمشقَ
دورُ دمشقَ
تسكنُ في خواطرنا
مآذنها.. تضيءُ على مراكبنا
كأنَّ مآذنَ الأمويِّ..
قد زُرعت بداخلنا..

كأنَّ مشاتلَ التفاحِ..
تعبقُ في ضمائرنا
كأنَّ الضوءَ، والأحجارَ
جاءت كلّها معنا..

أتى أيلولُ يا أماهُ..
وجاء الحزنُ يحملُ لي هداياهُ
ويتركُ عندَ نافذتي
مدامعهُ وشكواهُ
أتى أيلولُ.. أينَ دمشقُ؟
أينَ أبي وعيناهُ
وأينَ حريرُ نظرتهِ؟
وأينَ عبيرُ قهوتهِ؟
سقى الرحمنُ مثواهُ..
وأينَ رحابُ منزلنا الكبيرِ..

وأين نُعماه؟
وأينَ مدارجُ الشمشيرِ..
تضحكُ في زواياهُ
وأينَ طفولتي فيهِ؟
أجرجرُ ذيلَ قطّتهِ
وآكلُ من عريشتهِ
وأقطفُ من (بنفشاهُ)

دمشقُ، دمشقُ..
يا شعراً
على حدقاتِ أعيننا كتبناهُ
ويا طفلاً جميلاً..
من ضفائرنا صلبناهُ
جثونا عند ركبتهِ..
وذبنا في محبّتهِ
إلى أن في محبتنا قتلناهُ...

أبـــي

أمات أبوك ؟
ضلالٌ ! أنا لا يموت أبي .
ففي البيت منه
روائح ربٍّ .. وذكرى نبي
هنا ركنه .. تلك أشياؤه
تَـفَـتّـِقُ عن ألف غصنٍ صبي
جريدته . تبغه . مُتكأه
كأن أبي – بعدُ – لم يذهب ..

وصحن الرماد .. وفنجانه
على حاله .. بعد لم يشرب
ونظارتاه .. أيسلو الزجاج
عيوناً أشَفَ من المغرب ؟
بقاياه . في الحجرات الفساح
بقايا النور على الملعب
أجول الزوايا عليه ، فحيث
أمرُّ .. أمرُّ على مُعشب
أشد يديه .. أميل عليه
أصلي على صدره المتعب
أبي .. لم يزل بيننا ، والحديث
حديث الكؤوس على المشرب
يسامرنا .. فالدوالي الحبالى
توالد من ثغره الطيب ..
أبي خبراً كان من جنة
ومعنى من الأرحب الأرحبِ ..

وعينا أبي ملجأ للنجوم
فهل يذكر الشرق عيني أبي
بذاكرة الصيف من والدي
كرومٌ ، وذاكرة الكوكب ..

أبي يا أبي .. إن تاريخ طيب ٍ
وراءك يمشي ، فلا تعتب ..
على اسمك نمضي ، فمن طيب ٍ
شهي المجاني ، إلى أطيب ِ
حملتك في صحو عيني .. حتى
تهيأ للناس أني أبي ..
أشيلك حتى بنبرة صوتي
فكيف ذهبت .. ولا زلت أبي ؟

إذا فلة الدار أعطت لدينا
ففي البيت ألف فم مذهب
فتحنا لتموز أبوابنا
ففي الصيف لا بد يأتي أبي ..

لو كنت في مدريد . .

لو كنت في مدريد في رأس السنة
كنا سهرنا وحدنا
في حانة صغيرة
ليس بها سوانا
تبحث في ظلامها عن بعضها يدانا ..
كنا شربنا الخمر في اوعية الخشب
كنا اخترعنا – ربما – جزيرة
أحجارها من الذهب
أشجارها من الذهب
تتوقين فيها اميرة ..
لو كنت في مدريد في رأس السنة
كنا راينا كيف في اسبانيا ..
أيتهاالصديقة الاثيرة
تشتعل الحرائق الكبيرة
في الاعين الكبيرة
كيف تنام الوردة الحمراء في الضفيرة
كنا عرفنا لذة الضياع في الشوارع
وجوهنا تحت المطر ..

ثيابنا تحت المطر
كنا رأينا في مغارات الغجر
كيف يكون الهمس بالاصابع
والبوح ، والعتاب ، بالأصابع
وكيف للحب هنا ..
طعم البهار اللاذع ..

لو كنت في مدريد في رأس السنة
كنا ذهبنا آخر الليل للكنيسة
كنا حملنا شمعنا .. وزيتنا
بيد السلام والمحبة
كنا شكونا حزننا اليه.
كنا ارحنا رأسنا لديه
لعله في السنة الجديدة
ايتها الحبيبة البعيدة
يجمعني اليك بعد غربة
في منزل ، جدرانه محبة
وخبزه محبة ..

لو كنت في مدريد في رأس السنة
كنا ملأنا المدخنة
عرائسا ملونة ..
لطفلة دافئة العيون
نعيش ياحبيبي بوهمها ..
من قبل ان تكون ..
نبحث ياحبيبتي عن اسمها
من قبل ان تكون ..
كنا صنعنا تختها الصغير من ظنون
تختا من الاحلام .. والقطيفة الملونة
تنام فيها – ربما – بعد سنة ..
لو كنت في مدريد في رأس السنة.

في مدخل (الحمراء) .. كان لقاؤنا
ما أطـيب اللقـيا بلا ميعاد
عينان سوداوان .. في جحريهما
تتوالـد الأبعاد مـن أبعـاد ..
هل أنت إسبانـية ؟ ساءلـتها
قالت : وفي غـرناطة ميلادي
غرناطة ! وصحت قرون سبعة
في تينـك العينين .. بعد رقاد
وأمـية راياتـها مرفوعـة
وجيـادها موصـولة بجيـاد
ما أغرب التاريخ .. كيف أعادني
لحفيـدة سـمراء .. من أحفادي
وجه دمشـقي ، رأيت خـلالـه
أجفان بلقيس ، وجيـد سعـاد
ورأيت منـزلنا القديم ، وحجرة
كانـت بها أمي تمد وسـادي
واليـاسمينة رصعـت بنجومها
والبركـة الذهبيـة الإنشـاد ..
ودمشق . أين تكون ؟ قلت ترينها
في شعـرك المنساب .. نـهر سواد
في وجهك العربي ، في الثغر الذي
ما زال مختـزناً شمـوس بلادي
في طيب (جنات العريف) ، ومائها
في الفل ، في الريحـان ، في الكباد

سارت معي .. والشعر يلـهث خلفها
كسنابـل تركـت بغيـر حصاد ..
يتألـق القـرط الطـويل بجيدها
مثـل الشموع بليلـة الميـلاد ..
ومـشيت مثل الطفل خلف دليلتي
وورائي التاريـخ كـوم رمـاد
الزخـرفات .. أكاد أسمع نبـضها
والزركشات .. على السقوف تنادي

قالت : هنا (الحمراء) .. زهو جدودنا
فاقـرأ على جـدرانـها أمجـادي
أمجادها !! ومسحت جرحاً نـازفاً
ومسحت جرحاً ثانيـاً بفـؤادي
يا ليت وارثتي الجميلة .. أدركـت
أن الـذين عـنتـهم أجـدادي ..

عانـقت فيهـا عنـدما ودعتها
رجلاً يسمـى (طـارق بن زياد) ..

خبز وحشيش وقمر

عندما يُولدُ في الشرقِ القَمرْ
فالسطوحُ البيضُ تغفو ..
تحتَ أكداسِ الزَّهرْ
يتركُ الناسُ الحوانيتَ .. ويمضونَ زُمرْ
لملاقاةِ القمرْ ..
يحملونَ الخبزَ ، والحاكي ، إلى رأسِ الجبالْ
ومعدَّاتِ الخدرْ ..
ويبيعونَ ، ويشرونَ .. خيالْ
وصُورْ ..
ويموتونَ إذا عاشَ القمرْ ..

٢

ما الذي يفعلهُ قرصُ ضياءْ ؟
ببلادي ..
ببلادِ الأنبياْ ..
وبلادِ البسطاءْ ..
ماضغي التبغِ ، وتجَّارِ الخدرْ
ما الذي يفعلهُ فينا القمرْ ؟
فنضيعُ الكبرياءْ
ونعيشُ لنستجدي السماءْ
ما الذي عندَ السماءْ ؟
لكُسالى ضعفاءْ
يستحيلونَ إلى موتى ..

إذا عاشَ القمرْ ..
ويهزّونَ قبور الأولياءْ
علّها ..
ترزقُهم رزّاً وأطفالاً ..
قبورُ الأولياءْ ..
ويمدّونَ السجاجيدَ الأنيقاتِ الطُررْ
يتسلّونَ بأفيونٍ ..
نسمّيهِ قدرْ ..
وقضاءْ ..
في بلادي ..
في بلادِ البسطاءْ ..

٣

أيُّ ضعفٍ وانحلالْ ؟
يتولانا إذا الضوءُ تدفّقْ
فالسجاجيدُ ، وآلاف السلالْ
وقداحُ الشاي .. والأطفال .. تحتلُّ التلالْ
في بلادي ..
حيثُ يبكي الساذجونْ
ويعيشونَ على الضوءِ الذي لا يبصرونْ
في بلادي ..
حيثُ يحيا الناسُ من دونِ عيونْ
حيثُ يبكي الساذجونْ
ويصلّونَ ، ويزنونَ ، ويحيونَ اتّكالْ
منذُ أن كانوا .. يعيشونَ اتّكالْ
وينادونَ الهلالْ :
" يا هلالْ ..
أيها النبعُ الذي يمطرُ ماسْ
وحشيشاً .. ونُعاسْ
أيها الربُّ الرخاميُّ المعلّقْ
أيها الشيءُ الذي ليسَ يُصدَّقْ
دُمتَ للشرقِ .. لنا ..
عنقودَ ماسْ
للملايينِ التي قد عُطِّلت فيها الحواس " .

٤

في ليالي الشرقِ .. لمّا
يبلغُ البدرُ تمامهْ ..
يتعرّى الشرقُ من كلِّ كرامهْ
ونضالِ ..
فالملايينُ التي تركضُ من غيرِ نعالِ ..
والتي تؤمنُ في أربعِ زوجاتٍ ..
وفي يومِ القيامهْ ..
الملايينُ التي لا تلتقي بالخبزِ .. إلا في الخيالِ
والتي تسكنُ في الليلِ بيوتاً من سعالِ ..
أبداً .. ما عرفتْ شكلَ الدواءْ ..
تتردّى ..
جُثثاً تحتَ الضياءْ ..

في بلادي ..
حيثُ يبكي الساذجونْ
ويموتونَ بكاءْ
كلّما طالعهم وجهُ الهلالِ
ويزيدونَ بكاءْ
كلّما حرّكهم عودٌ ذليلٌ .. و" ليالي "..
ذلكَ الموتُ الذي ندعوهُ في الشرقِ ..
" ليالي " .. وغناءْ
في بلادي ..
في بلادِ البُسطاءْ ..

حيثُ نجترُّ التواشيحَ الطويلهْ ..
ذلكَ السلُّ الذي يفتكُ بالشرقِ ..
التواشيحُ الطويلهْ
شرقُنا المجترُّ .. تاريخاً .. وأحلاماً كسولهْ
وخُرافاتٍ خوالي ..
شرقُنا ، الباحثُ عن كلِّ بطولهْ
في (أبي زيدِ الهلالي) ..

********* النهاية *********

مع تحيات يحيى الصوفي

مؤسس ورئيس تحرير موقع

القصة السورية

Syrian Story